موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

دكتور جورج حبيب بباوي

«نظرية الأجساد الثلاثة»

نظرية لتدمير وحدانية الحياة في المسيح

"نظرية الأجساد الثلاثة"

نظرية لتدمير وحدانية الحياة
في المسيح

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

اسم الكتاب : نظريةالأجساد الثلاثة
المؤلف د. جورج حبيب بيباوي
الناشر : جذور للترجمة والنشر والتوزيع
١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة
ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
الطبعـة : الأولى ـ مارس ٢٠٢٢

لماذا يخلق المطران من الخيال وحده، اتهامات هو أول من يعرف أنها كاذبة؟

في مقال نُشِر في مجلة الهدى - لسان حال الكنيسة الإنجيلية في مصر - ١٩٨٣ وأُعيد نشرها على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ إبريل ٢٠٠٧، ذكرت ما يلي نصاً:

"ثار سؤالٌ في الغرب: إذا كان المسيح جالساً عن يمين الآب، فمن الذي يقدَّم للقداس الإلهي؟ وإذا كانت الكنيسة جسد المسيح، فما هي العلاقة بين الأجساد الثلاثة، الجسد الموجود عن يمين الآب في الأعالي، والكنيسة جسد المسيح، وجسد المسيح في العشاء الرباني؟ هل هناك ثلاثة أجساد، أم جسد واحد له ثلاثة مظاهر؟ وهكذا من الجدل العقلي الذي لا ينتهي ....إلخ".

واضح من سياق الكلام أن الخطاب هنا عن تداعيات الفكر الفلسفي الغربي، لا سيما في الفقرة التي تلي هذا الاقتباس. فإذا كانت هذه هي مشكلة الفكر الغربي، فلماذا تضاف هذه الفكرة - في قائمة المطران إلى الأخطاء اللاهوتية المنسوبة إليَّ؟

السبب الأول، يبدو أنه أراد أن يجمع أي شيء دون تمييز، وإمَّا أنه قرأ المقال الغربي ولم يفهم ما يقرأ؛ بسبب من العداوة والبغضة. فلماذا لا ينسبه إلى جورج بباوي العدو اللدود؟

أمَّا ما هو ثابت من خلال النصوص -وهو ما سوف يجيء فيما بعد- أن الأنبا شنودة الثالث هو من صك تعبير "نظرية الأجساد الثلاثة"، وظهر هذا التعبير لأول مرة في مجلة الكرازة وبعد ذلك في كتاب بدع حديثة، حيث وزَّع المسيح إلى ثلاثة أجساد، وأضاف أن لكل جسدٍ معنى، دون أن يذكر هذا المعنى.

نعود إلى السؤال الافتتاحي لهذا المقال، وهو لماذا أضاف المطران هذاا الاتهام إلى قائمة الاتهامات المنسوبة لي؟

لأنه يخاطب من لا يقرأ، ومن لا يدرس. وفي وسط ضباب الجهل بالتاريخ، يضيف هو ما يشاء حتى يظن القارئ أمام هذه القائمة الطويلة من الاتهامات، أننا إزاء محنة اخترعها جورج بباوي، وحتى يشوش على القارئ فلا يدرك من هو مصدر المحنة.

لكننا أمام هذا التدمير المنظم للعقيدة، كان لا بُد لنا من الرد على هذه النظرية، والتي تترتب عليها نتاج في غاية من الخطورة:

أولاً: إبعاد المؤمنين عن جسد المسيح الحقيقي في الإفخارستيا.

ثانياً: هدم هوية الكنيسة جسد المسيح حتى يمكن العبث والاعتداء على أعضاء جسد المسيح بأي وسيلة متاحة، وإن يكن ذلك باسم الهرطقة، أو باسم الأخطاء، أو باسم البروتستانتية، أو التعليم الغربي، وفي وسط الشعب الذي يخاطبه هؤلاء، وهو شعبٌ لم يدرس تاريخه القبطي، فما بالك بتاريخ الانشقاق، والاختلافات اللاهوتية بين الكنائس التي يزيد عمرها على ١٤٠٠.

لقد شاهدت يوماً ما جاد به ذكاء لص مصري، حاول السرقة وفشل، فأخذ يجري في الشارع ويصيح بصوت عال: "حرامي"، وذلك حتى يصرف الأنظار عنه، ولكي يتمكن من الهرب باعتباره أحد الذين يطاردون اللص. إلاَّ أن تطبيق هذا التصرف على ما يخص أمور الإيمان هو الشر بعينه. أن يَسقط شخصٌ في خطأ، ثم يصرخ بصوت عال: "بروتستاتني"، أو "يهودي"، أو "غربي"، أو ما إليه، لكي يصرف الأنظار عنه، فذلك هو عين الشر؛ لأن هذا الأمر غير جائز - عموماً- وعلى الأخص في أمور الإيمان، لذلك كان من الضروري الرد على هذه النظرية، حتى لا يظن أحد أنها من تراثنا الشرقي الأرثوذكسي، وحتى يظهر من هو المدعي، لعله يعود إلى جادة الصواب.

البـــدايـة

عن الإفخارستيا والكنيسة جسد المسيح، يتساءل الأنبا شنودة الثالث: هل تسجد الكنيسة لنفسها عندما تقول الكنيسة: "نسجد لجسدك المقدس" في الليتورجيا؟ تساءل لا يصدر عن إنسان مسيحي استوعب سر تجسد الرب، فقال: إن الكنيسة تأكل نفسها لو كانت هي جسد المسيح. وكأن رسول المسيح القديس بولس قد أخطأ عندما قال للكنيسة في كورنثوس: "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (١كو ١٢: ٢٧)، وبالتالي كان عليه أن يتأنى قبل أن يهاجم التعليم الرسولي الذي ربما لم يكن يعرفه. وكأن الرب يسوع نفسه الذي كان شاول يضطهده وهو يقول لشاول الطرسوسي: "لماذا تضطهدني" (أع ٩: ٤)، كأنه لم يكن يعرف أن المؤمنين هم جسده الذي يضطهده شاول،

والذي عندما عاد إلى المسيح مؤمناً قال إن "الكنيسة جسد المسيح"، وإننا ننضم إلى هذا الجسد الواحد بالمعمودية وبالروح القدس "لأننا اعتمدنا لجسد واحد" (١كو ١٢: ١١ – ١٣).

ولأن الكل لزم الصمت، ربما عن جهل، وربما عن خوف، وربما لأن الذين صمتوا كانوا يؤمنون بأن حل القضايا العالقة هو بموت صانع هذه القضايا – وهو خطأ مميت؛ لأن الأمر هنا متعلق بالإيمان والعقيدة نفسها؛ لأن ما كُتب من سخرية وتهكم، ومن ثمَّ تمزيق للمسيح الواحد نفسه إلى ثلاثة أجساد[١] هو أغرب (هرطقة) قيلت في تاريخ كنيسة مصر، وهي هرطقة فعلاً، لم يُحاكَم عليها قائلها ولم يُراجع ولم يتُب عنها، بل زاد على ذلك -فيما خص الإفخارستيا- بتبنيه العبارة النسطورية القائلة: "إن الرب لم يقل خذوا كلوا هذا هو لاهوتي بل قال هذا هو جسدي".

وتراجع الشهادة لصحة التعليم، كان هو سمة عصر الصمت الطويل الذي دام طوال زهاء أكثر من ربع قرن، كان الولاء فيه للأشخاص أكبر وأعظم من الولاء للإيمان والولاء للمسيح نفسه، والتمسك بالزعامة أعظم من التمسك بشخص الرب نفسه .. تلك محنةٌ حقيقية لمن يُدرك ويَعلم **أن قوام الحياة الكنسية هي يسوع نفسه رأساً وجسداً، لاهوتاً وناسوتاً، وكل ما حققه في جسده، وفي تقدم البشرية فيه بسبب الاتحاد الأقنومي** .. لقد ضاع الإيمان وسط

١- لا يتسع المجال هنا لاقتباس كل ما قاله قداسة البابا شنودة الثالث في خصوص هذا الموضوع، وعلى القارئ الكريم أن يرجع لكلامه في كتابه "بدع حديثة" اعتباراً من ص ٩٩ وما بعدها، كما يمكن أيضاً الرجوع لكتاب "سنوات مع أسئلة الناس" في غير موضع.

مهاترات قادها إعلامٌ فج، ولكن بقيت النظرية:

- جسد المسيح الذي أخذه من العذراء.
- جسد المسيح في الافخارستيا.
- جسد المسيح الكنيسة.

والتقسيم اللفظي بهذا الشكل يمكن أن يقنع القارئ بأننا إزاء أجساد ثلاثة.

فـقــدانٌ للـوعي:

أولاً: الجسد يتكون وينمو حسب القوانين البيولوجية .. هكذا وُلِدَ الرب بعد أن كان جنيناً، وهو من تقول عنه صلاة القسمة: "الذي نمى قليلاً قليلاً بشبه البشر"، وقد بلغ الثلاثين من العمر الإنساني حسب شهادة الإنجيلي لوقا. معروفٌ لنا أصل الجسد أو ما يُعرف في الاصطلاح العام بـ "الناسوت"، ومعروفٌ لنا تاريخ هذا الجسد، ميلاده، وصلبه، وقبره، وقيامته .. هذا هو جسد الرب الذي أخذه من العذراء.

ولكن الوعي يتوه بعد ذلك عن حقيقة هامة، وهي أن هذا الجسد هو كل شيء بالنسبة لنا نحن البشر، فهو الذي يحمل لنا الاتحاد الأقنومي – والميلاد البتولي – صبغة المعمودية – الانتصار في البرية – قوة طرد الشيطان – غلبة الموت – اندحار القبر – مجد القيامة – مجد حياة الدهر الآتي. هذا ليس تاريخاً فقط، بل هي حقائق الخلاص التي يحملها لنا شخص يسوع في

جسده، والتي تُعطى في هذا الجسد بسبب الاتحاد الأقنومي، أي أنها من اللاهوت وتوهب لنا بسبب الاتحاد الأقنومي.

ثانياً: لكن من أين جاء هذا الجسد الثاني، أي جسد المسيح (في الإفخارستيا)؟ لقد نسى الأنبا شنودة أنه لم يكن جسداً فقط، بل جسده ودمه اللذان سُلِّما لنا بواسطته في العلية يوم الخميس الكبير. فعندما تكلم عن الأجساد الثلاثة، لم يتكلم عن الدم؛ لأنه لم يرد ذكرٌ لدماء ثلاثة، بل دمٌ واحد، وهذا يؤكد وحدانية الجسد الواحد.

وبشكلٍ خاص، يعتبر إسقاط "الدم" من تعبير الأنبا شنودة إسقاطٌ غريب؛ لأن الدم هو حياة الإنسان حسب لاويين ١٧: ١١، ولأنه لا جسد بلا دم، لذلك يقتضي الحديث عن ثلاثة أجساد، الحديث عن ثلاثة دماء. والحديث عن ثلاثة دماء هو حديثٌ يهدم الخلاص برمته، ويفصل ذبيحة ربنا يسوع عن تجسده وموته وقيامته؛ لأنه قدَّم دمه الواحد بالروح الأزلي (عب ٩: ١٤)

فهل جاء هذا الجسد من لا شيء؟ ... أبداً.

وهل خُلق من العدم؟ ... أبداً.

أليس هو ذات الجسد الذي أخذه "من والدة الإله القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير" كما يقول كل كاهن قبطي في صلاة الاعتراف حتى النفس الأخير .. أليس هو ذات الجسد؟

عندما جلس الرب مع التلاميذ في العلية، لم يكن هناك جسدان، بل جسدٌ واحدٌ وسؤال الأخوة الإنجيليين عن كيف يكون له جسد واحد، ويعطي بنفسه جسده وهو لا زال حياً مع التلاميذ جالساً معهم يعطيهم جسده ودمه، وهو لم يكن قد صُلب بعد؟!

والاعتراض الإنجيلي هذا، هو ذاته اعتراض الأنبا شنودة الثالث؛ لأنه يذكر في كتابه "٥ تأملات في أسبوع الآلام" أن الرب يسوع لم يسلِّم جسده ودمه، بل سلَّم "**رمزاً** "؛ لأنه لم يكن قد صُلب بعد .. وتلك هي مصيبة وآفة لاهوت حركة الإصلاح؛ لأنه أغلق دائرة الخلاص على صلب الرب يسوع فقط، وترك التجسد والقيامة والصعود، بل وأهمل أيضاً انسكاب الروح في يوم الخمسين؛ مما أدى إلى انفجار الحركة الخمسينية في مطلع القرن العشرين باحثةً عن الروح القدس الغائب من لاهوت عصر الإصلاح.

ولكننا إذا عدنا إلى العلية، وجدنا أيقونة سر الشكر كاملةً؛ لأن الرب وحده بسلطانه وإرادته وحده وبشخصه وحده يعطي جسده ودمه عبر كل العصور ابتداءً من العلية حتى أقصى الأرض. والسؤال عن ذلك بـ "كيف"؟ هو سؤالٌ لا بُد من الإجابة عليه من داخل دائرة سر المسيح وسر التدبير غير المحصور في الصلب على الجلجثة وحده، بل الممتد من يمين الآب قبل كل الدهور وقبل خلق العالم مروراً بأبواب التاريخ من بيت لحم حتى الصعود عبر الأردن – البرية – الجلجثة – القبر – القيامة، تلك هي مراحل التدبير التي أعطى فيها الرب لنا حياته الإلهية المتجسدة فينا.

ما حدث في العلية هو ما يحدث في كل قداس. وقبل الصلب أو بعد الصلب لا يغيِّر شيئاً طالما أن الصليب هو أحد مراحل التدبير العظمى، وهي مرحلة سحق الموت وسحق الفساد ورفع الدينونة عن الجنس البشري كله (يوحنا ٣: ١٦).

الحياة الإلهية لا تعرف الموت، ولا هي قابلة للتقسيم؛ لأن التقسيم دخل مع الخطية والموت. لقد جاء الرب لكي يقدم لنا تقدمة حرة بالإرادة الحرة، وبمحبة حرة، وكان من الضروري أن يفعل ذلك قبل أن يموت على الصليب؛ لأن ما حدث بعد الصلب والدفن دخل مرحلة تعذَّر على التلاميذ جميعاً معرفتها أو استيعابها.. لم يعرف أحدٌ كيف قام الرب من الأموات، ولكن الكل شاهدوه حياً، بل أكلوا وشربوا معه بعد قيامته (أع ١٠: ٤١).

قبل الصلب أسَّس الرب هذه العطية الحرة؛ لأنها بالإرادة الحرة، ولأنه هو القيامة والحياة (يوحنا ١١: ٢٥) حتى قبل أن يموت، وإلَّا كيف أقام الموتى مثل لعازر؟ وهو ما تؤكده الكنيسة في تسليم التدبير بوضع "سبت لعازر" قبل بداية البصخة وقبل أحد الشعانين تأكيداً على أن من سيجوز الموت هو الحي وليس الخاضع لسلطان الموت، ولذلك قال الرب قبل خميس العهد عن حياته:

"لي سلطان أن أضعها
لي سلطان أن آخذها أيضاً
ليس أحد يأخذها مني
هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠: ١٨).

وسلطان أن يسلم حياته -وهو هنا لا يقصد الصلب فقط، بل حياته كلها- هو سلطانٌ يملكه هو وحده؛ لأن هذا هو تدبير الثالوث، هو "وصية الآب".

يدخل هذا السلطان في ترتيب التدبير يوم الخميس وتمتد حياته الإلهية المتأنسة إلى الخبز والخمر ويعطي الحياة بسلطان الحياة؛ لأنه الكلمة *Logos* الخالق الذي لم يفقد سلطانه الخالق، ويجعل من الخبز جسده والخمر دمه. وحسب اللغة الآرامية التي تكلم بها الرب في العلية، الخبز هو "لِخِم = لحم *flesh* = الخبز *Bread* .. والخمر هو دم العنب، هو "دما" في الآرامية، ويعني الخمر، النبيذ الأحمر، ويعني أيضاً الدم *Blood* ولم يكن في الكلمات أية ثنائية، بل كانت الكلمات:

هذا خبزي = هذا جسدي.

هذا خمري = هذا دمي.

لأن القوة الخالقة تجعل من الخبز جسداً ومن الخمر دماً، والقوة الخالقة سوف تعطي لكل إنسان هذا.

ويقول الرب نفسه عن الخبز: "خبز الله هو النازل من السماء" (يوحنا ٦: ١٣) الذي لا يمكن أن يخضع للمقاييس الأرضية، ولذلك هو "من السماء الواهب حياة للعالم .. قال يسوع: "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا ٦: ٣٥). خبز الموت يُقسَّم وينتهي، لأنه من الأرض، ولكن يسوع جاء من فوق من عند الآب، ولذلك يعطي هذا الخبز القيامة "أنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٥٤).

جسـدي مأكلٌ حقيـقي

عندما قال الرب: "جسدي مأكلٌ حقيقي"، فقد أشار إلى:

١- حقيقة جسده عديم الفساد؛ لأن الجسد الفاسد هو جسدٌ مزيَّفٌ دخل عليه الموت وأفسده.

٢- أن جسده جسدٌ حيٌّ ومحيي؛ لأنه غلب الموت في الآخرين وغلبه في ذاته.

٣- أن جسده جسدٌ مقدسٌ لم تستطع الخطية أن تسود عليه، ولذلك ظلَّ "جسداً حقيقياً"؛ لأن الخطية تزيِّف الجسد، فلم يَعُد أي جسد بشري لأي إنسان جسداً حقيقياً، لأنه فقد الحياة وفقد الخلود؛ لأن الحق = الحياة، ولذلك قال الرب: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧). الحق هو استعلان يسوع: "النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يوحنا ١: ١٧). هو الحق نفسه، ولذلك جسده حقٌ، أمَّا أجساد كل البشر، فهي ليست حقاً لأنها خاضعة للانحلال ولا تزال تنتظر الفداء بالقيامة (رو ٨: ٢٣).

السؤال عن كيف أعطى وهو جالس؟ هو سؤال عن الحياة وعن المحيي وعن واهب الحياة وعن خبز الحياة النازل من السماء .. وكيف، لها إجابات كثيرة، ولكن الإجابة الحق هي الحياة التي تحيي، فقد جاء لكي يحيي "كما أرسلني الآب الحي .. أنا حي بالآب" (يوحنا ٦: ٥٧)، الحياة تمتد للموتى "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧)، فكيف تمتد الحياة من العلية إلينا؟ كيف امتدت الحياة من الكلمة وأبقت الجسد بلا فساد (أع ٢: ٢٧)؟ والجواب هو لأن **الاتحاد الأقنومي**

هو سر امتداد الحياة. كيف أعطى جسده وهو جالس مع التلاميذ؟ بل وكيف يعطي جسده الآن وهو جالس عن يمين الآب؟ والجواب هو إن الجالس هو الحي مع التلاميذ، ومع المؤمنين، وأن الجلجثة لم تكن وحدها هي العطاء الوحيد. فقد سبق الجلجثة عطاءٌ أعظم، هو إخلاء الذات واقتبال صورة العبد (فيلبي ٢: ٦) وسار العطاء في نفس طريق الحياة عندما أعطى الحياة للموتى وشفى المرضى ورد الحرية للمأسورين بالخطية، ورفض رجم الزانية، بل أدخل اللص الصالح إلى الفردوس وسبقه وأعد له مكاناً وكان في انتظاره .. هذا هو يسوع الحياة. وهو في العلية تمتد إرادته إلى الخبز والكأس، هي إرادة إلهية متأنسة لأنها قوة الحياة المتجسدة، وتلاشي تماماً الزمان والمسافة؛ لأنها القوة الخالقة، ويمسك يسوع بالخبز ويجعله جسده، وهنا يصبح الخبز هو "خبز الله" وليس مجرد خبز، ويمسك بالكأس ويصبح الخمر دم الله أيضاً، الدم الحقيقي الذي عندما سُفك بعد ذلك لم يكن دمَ ميِّتٍ، بل دم رئيس الكهنة الذي قدَّم ذاته بروح أزلي (عب ٩: ١٤).

كيف سال ذلك الدم في العلية؟ سال كقوة حياة مثل تلك التي خرجت منه عندما لمسته نازفة الدم، ومثل الطين الذي صنعه وردَّ للمولود الأعمى البصر ... كيف؟ لأن الكلمة المتجسد هو خالق كل شيء، والسؤال يجب أن يكون عن عطية الحياة .. كيف يعطي الحياة؟ والجواب هو بتجسده وموته وقبره وقيامته وصعوده؛ لأنه غير خاضع لقوة الحياة البيولوجية، بل بالحري الحياة البيولوجية خاضعة له لأنه في ميلاده الإنساني لم يكن ميلاداً إنسانياً فقط، بل

كان ميلاداً إنسانياً إلهياً؛ إذ حُبِلَ به بالروح القدس، وحتى في حياته الإنسانية على الأرض التي وُصِفَت بكل دقة: بـ"أيام جسده" (عب ٥: ٧)، لم يكن يحيا حياةً إنسانيةً فقط، بل حياة إنسانية إلهية، أو بكل دقة حياةً إلهيةً متجسدة. وفي موته لم يكن موت إنسان؛ لأن الموت يقهر كل البشر، ولكنه قهر الموت، وكان جسده في القبر بلا فساد (أع ٢: ٥)، وبعد موته تمجَّدت إنسانيته بالقيامة، بل يقول رسوله المبارك: "قام بالروح القدس" (رو ٨: ١١)، فصارت حياته منذ ولادته بالجسد إلى قيامته، بل وصعوده في مجال روح الحياة، أي روح الآب المحيي.

الانفصال والتقسيم دخل مع الموت، وذلك الهاجس الخيالي الفائق الذي يحاصر الرب بما هو ثابت في المخيال (المخيلة) الإنساني بأن سفك الدم هو إحداث جرح في الجسد لكي ينزف الدم - هذا ينطبق على أي إنسان مثلنا، لكن يجب أن نعرف أنه حتى نحن، نسفك الدم بشكل غير منظور في الأعمال الشاقة والخطرة التي تستوعب كل ما في أجسادنا من طاقة وحيوية. هو حقاً بلا خطية لأنه انفصل عن قوة الحياة البيولوجية بميلاده، وعن الموت نفسه لأنه بلا خطية والخطية دخلت مع الموت (رو ٥: ١٢) ولم يكن الرب خاطئاً، بل أباد الخطية أي القوة القاتلة "وإذ كنتم أمواتاً بالخطايا أحياكم معه" (كولوسي ٢: ١٣) "حمل خطايانا في جسده على الخشبة" (١بطرس ٢: ٢٤)، أي حمل موتنا وكل أسباب الموت هي الخطايا، ولما "ذاق الموت بالجسد" أباد الموت، وقد أباد الموت لأنه كان بلا خطية، لم يكن فيه أثم ولا غش، بل عندما جاء الربُّ إلى الموت بإرادته الحرة أباده لأن الموت لم يكن له مكان أو بذرة في يسوع، ولذلك قال رسول الرب:

"لم يكن الموت قادراً على أن يمسك به" (أع ٢: ٢٧). هذا هو يسوع الحي والحياة والمحيي.

عندما قدم ذاته في العلية، كان هذا هو ذات التقديم الذي تم على الجلجثة. تقديم واحد وله مصدر واحد وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إن اقنوم الله الكلمة لا ينقسم بسبب تنوع الأعمال والأفعال، وهناك مثال واضح على عدم الانقسام في (١كو ١٢: ٣ وما بعده)، حينما يؤكد رسول الرب إن الروح واحد والمواهب متنوعة، ولكن الروح الواحد هو نفسه الذي يوزِّع المواهب، وهو يبقى الروح الواحد غير المنقسم.

ثانياً: "المسيح الرب الواحد غير المنقسم من بعد الإتحاد إلى اثنين:إله وإنسان"، عبارة ذات عدة دلالات، ولكن الدلالة التي تخصنا هنا هي أن أعمال الرب وهو في الجسد وفي حساب الزمان والمكان ليست إنسانية فقط ولا هي إلهية فقط، بل هي أعمال الرب الواحد المتجسد الذي دخل الحياة الإنسانية كإله متجسد حاملاً في كيانه زخم ومجد الإلوهة ومُطوِّعاً الإنسانية التي أخذها لكي تنمو بالاتحاد صاعدةً فيه وبه نحو غاية التدبير، وهو **كمال الطبيعة الانسانية فيه وبه،** وهذا يعني أن الإنسان الجديد هو يسوع المسيح وهو آدم الثاني، وهو منذ البداية، منذ أن حُبِلَ به يتعامل مع الزمان والمكان ليس مثل آدم الأول الترابي الذي من تراب الأرض، ولأن آدم الثاني الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧)، فهو في الزمان حاضر معنا بجسده، ولكنه عن يمين الآب حتى وهو على الصليب. وتعبِّر قسمة صوم

الميلاد عن ذلك بتقوى أرثوذكسية مجيدة: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين"، أي الكائن في حضن الآب حتى وهو في القبر. هذا ليس انشطاراً ولا انقساماً في الرب، وإنما لأنه لم يفقد إلوهيته فهو يملأ كل زمان ومكان ولأنه في الزمان يخضع الزمان له.

ثالثاً: ليس في التدبير الالهي للكلمة المتجسد قبل وبعد، أي أننا لا نحسب بحساب الزمان ما حدث هناك، مثل بيت لحم أي الميلاد البتولي الذي حمله في كيانه مؤسِّساً في كيانه بداية جديدة للجنس البشري، ولذلك وُلِدَ بدون أب جسداني، فهل غابت أو أصبحت هذه الحقيقة الكيانية غير ذي أهمية لأنه قام من الأموات؟ الجواب القاطع بكل تأكيد لا، فقد قام محوِّلاً الجسد الذي أخذه من مريم إلى جسد عديم الفساد وخالداً، فتم بذلك ما كان يهدف إليه من ميلاده البتولي .. أي الإنسان السمائي الذي وُلِد من الروح القدس ومن العذراء، وهو هنا في القيامة يقوم بالروح القدس الذي سبق ومسحه بعد خروجه من مياه الأردن لكي يصبح الرب من السماء – سمائياً أي محولاً في كيانه ما هو ترابي إلى ما هو خالد ومجيد وعديم الفساد، فهل حدث هذا بترتيب زماني؟ حسب الظاهر نعم، وحسب الحقيقة لا؛ لأن الزمان نفسه لم يرتب التدبير، ولكنها الإرادة الإلهية، تلك التي جعلت رسول المسيح يقول إننا بهذه الإرادة قُدِّسنا عندما قدم يسوع نفسه لأجلنا (عب ١٠: ١٠)، ولكن هذه الإرادة المعلَنة في الزمان لم تكن من صنع الزمان؛ لأن الكلمة ليس مخلوقاً، بل هو كما يقول رسول الرب: "اختارنا فيه قبل تأسيس أو خلق العالم" (أفسس ١: ٣) فهو كائن قبل كل زمان ومكان.

في العلية حدث أمرٌ عجيبٌ فائق:

١- استعلان المحبة، وسلطان المحبة الذي لا يعرف الحدود -أي حدود الزمان والمكان- لأن "الله محبة".

٢- كان الوجود الإنساني للرب في العلية مع التلاميذ هو الاستعلان الإلهي لعطاء فريد غير مقيَّدٍ بما نعرفه حتى عن طقوس الفصح اليهودي، فأعلن محبة الآب في عطاء جسده وأعلن محبة الروح القدس الذي مسحه.

٣- عندما كان في العلية مع أحبائه، رسم سر التدبير الإلهي في الصورة أو "الأيقونة" التي سوف تؤسس خدمة الثالوث لنا، أي الليتورجية؛ لأن الثالوث يخدمنا في رئيس الكهنة الذي يقدم قربان حياته، هو من الآب الذي أرسله ومن الروح القدس الذي مسحه، ومن الاتحاد الأقنومي الذي ألزم محبته أن يشاركنا حياته، ولذلك بمحبة يقول: "إنني اشتهيت أن آكل معكم هذا الفصح" (راجع لو ٢٢: ١٥). لكن هذه لم تكن شهوةٌ للفصح اليهودي، بل شهوة تقديم ذاته، فقد سبق يوحنا المعمدان وأشار إليه على أنه هو حمل الفصح الذي يحمل موت العالم أو خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩). لقد أراد أن يقابل الموت منذ أن وُلِد، قابله في الآخرين، ومع ذلك كان هؤلاء الذين قاموا من الأموات مثل لعازر وابن الأرملة بلا حياة أبدية؛ لأن الحياة الأبدية غير كاملة بدون تحول الناسوت إلى عدم فساد، ولذلك فداء الجسد هو في انتظارنا جميعاً. أمَّا فداء جسد يسوع فهو بواسطة دمه الخاص به كما يقول أثناسيوس العظيم في الرد على

الأريوسيين مقالة ٢: ٦١. فهو ليس في سفك الدم فقط، بل هو بسفك الدم وبقوة الإرادة؛ لأن سفك الدم هو استعلان الإرادة، وهو ما يعبِّر عن حرية التقديم وحرية المحبة، ولذلك جاء يسوع وجلس في وسط الأحباء، وقدَّم تقدمة المحبة وسفك دمه بقوة الإرادة قائلاً: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد". وقدَّم جسده بقوة الإرادة قائلاً: "خذوا كلوا (هذه هي حياتي) هذا هو جسدي"، فالإرادة الحرة تفعل ما تشاء حسب التدبير. وهنا يبقى الخبز والخمر هما معاً ما أحضره التلاميذ، وهو ما سوف تقدمه الكنيسة بعد ذلك، تقدمة إرادة حرة ومحبة حرة؛ لكي يتم اتحاد الإرادة الإلهية المتجسدة بإرادة الكنيسة عندما تقدم الخبز والخمر على مائدة الرب أو على المذبح[٢].

ما هو دور الخبز والخمر في عمل الإرادة؟

إن ما كُتب عن تقدمة ملكي صادق (الخبز والخمر) وهو كاهن الله العلي (إيل عيلون – إله شعوب الأرض وليس إله إسرائيل فقط، لأن اسرائيل لم يكن قد ظهر بعد في التاريخ)، هو فعلاً إشارة إلى الكهنوت غير اللاوي ليسوع الذي شرحه بكفاية رسول الرب في العبرانيين (ص ١٠: ١ - ٨). هذا جيد جداً كإشارة إلى ما سوف يتم في التدبير. وحقاً الخبز والخمر معاً كانا من تقدمة الفصح اليهودي .. هنا حدث امتزاج بين الرمز والإشارة *Type* والحقيقة؛ لأن التاريخ القديم هو تاريخ عبور ملاك الموت وفداء الشعب، والتاريخ الجديد

٢ - المائدة = المذبح حسب كل صلوات الليتورجيات الأرثوذكسية لأن الإفخارستيا وليمة الملكوت وهي ذبيحة الشكر والمحبة.

هو تاريخ العبور إلى الحياة الجديدة التي يتم فيها تجديد الخليقة والكون كله، فكيف يدخل الكون في التجديد؟ ليس بواسطة تجسد الابن الوحيد فقط، بل بعناصر الكون المختلفة: المياه – الخبز – الخمر؛ لأن الكون الذي دخل حالة "المخاض" الكوني (رو ٨: ٢٢) لم ينفصل عن خالقه، بل هو مدعو إلى التجديد، ولذلك تلك الدعوة الجاهلة بأن الخطية هي انفصال عن الله هي دعوة بأن الكون، وهو بيت الانسان، لم ينل أي اهتمام في تدبير الله. الخبز والخمر معاً من الكون، والتاريخ القديم هو العبور من الموت إلى الحياة، والتاريخ الجديد هو مخاض الحياة الكونية التي لا يمكن فصل الإنسان عنها لكي يتم تجديد الكل؛ لأن الخليقة تنتظر استعلان أبناء الله، كما يقول القديس بولس: "لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان ابناء الله" (رو ٨: ١٨).

هل هذا جسدٌ ثان، أم هو ذات الجسد؟

هل قدَّم يسوع جسداً غير جسده؟ لو كان يسوع قد فعل ذلك لسقط تدبير الخلاص كله في هاوية العدم؛ لأن هذا الجسد الثاني المزعوم ليس هو الرب المتجسد، وهذا يضع يسوع خارج التاريخ الإنساني، ولذلك حسابه بالجسد الثاني ليس جهلاً فقط، بل هو محاولة شيطانية لتدمير تدبير الخلاص. وبالتالي، الجسد الثالث هذا -في هذه النظرية- ليس هو اجتماع الرب معنا، ولأنه لم يولد من امرأة، فلا نعرف من أين جاء، وبالتالي هو قطع كل علاقة كيانية بين الرأس والأعضاء .. هذا أشبه بالقصة الخرافية المعروفة التي وردت

فيما يسمى "إنجيل برنابا"، وهو أفظع تزوير تم في التاريخ عندما يقول الكاتب المُغَّيب إن يسوع أسقط شكله على يهوذا وأخذه اليهود وصلبوه وهم يظنون أنه يسوع، وبذلك يكون يهوذا قد صُلِبَ بدلاً عن المسيح يسوع، وبالتالي لم تنل الإنسانية الخلاص والقيامة والخلود؛ لأن الذي مات لم يقهر الموت، بل غلبه الموت.

هذا الحديث عن الجسد الثاني لا يختلف في جوهره عن خرافة إنجيل برنابا، وإن كنا لا نظن أن فكرة الجسد الثاني هي منقولة من إنجيل برنابا، ولكنها -في الغالب- نتيجة سيطرة الخوف والحقد على عقول لا تريد للرب أن يعطي؛ لأن العطاء، أي عطاء الذات وسفك الدم وتقديم الحياة يفضح سلوك الذين تحصَّنوا في الألقاب والمال والزعامة وتعذَّر عليهم أن يكون واحدٌ منهم "الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف" (يوحنا ١٠: ١١)، بل هو الذي يذبح الخراف؛ لأن ذبح الخراف يؤكد له سلطاناً مزعوماً أعطاه لنفسه.

وحساب الأجساد هنا له مقاصد شريرة، يمكننا أن نحصرها في الآتي:

١- الكنيسة ليست جسد المسيح؛ لأن عكس هذا يحدد خدمة الكهنوت بأنها **خدمة بذل لا سلطان**، وأنها **نعمة ذبح وليست زعامة**، وأن الكاهن هو مثالٌ لمن أعطى جسده للكنيسة لكي تكون جسده الواحد مثلما يحدث في الزيجة المقدسة التي يصبح فيها الرجل والمرأة جسداً واحداً في اتحاد لا يلغي الرجولة ولا يحذف الأنوثة، بل يخلق الحياة الواحدة التي تأخذ قوة الاتحاد من اتحاد الرب بالكنيسة حسب التسليم الرسولي الذي قدَّمه رسول المسيح في (أفسس ٥: ٣٢).

لكن لكي تحل القوة والقهر محل المحبة لا بُد من تغيير هوية الكنيسة. ولكي يحل السلطان محل الخدمة والبذل لا بُد من تغيير اسم الكنيسة نفسه لكي تحمل اسماً رمزياً أو رقماً، تماماً كما كان ولا زال يحدث في المعتقلات والسجون عندما يأخذ السجين رقماً يحل محل اسمه الشخصي.

من لا ينوح ويبكي على خطايا هؤلاء إلَّا الجاهل الذي لا يدرك أن اتحاده بالمسيح صار محل سخرية وتهكم، بل وينال أكبر قدر من الهجوم من على منابر المسيح نفسه في خدمة الوعظ.

٢- إنكار أننا نأخذ المسيح ونحيا به ونتحد به في سر الشكر لكي نكون *Form* ذلك الاتحاد الذي لا يعرفه العالم، أي الكنيسة جسد المسيح، وهو قصد شرير وفظيع. فالكنيسة جسد المسيح؛ لأن الحياة

التي في هذا الجسد ليست حياةً إنسانيةً ساقطةً فاشلة مستعبدة للخطية؛ بل كما يصرخ قانون الإيمان: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة".

وأحد أسباب قداسة الكنيسة هي أنها جسد المسيح، ولأن الروح القدس قد قدَّسها، ولذلك يصرخ رسول المسيح: "أحب المسيح الكنيسة أيضاً وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (شيخوخة) أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أفسس ٥: ٢٥ - ٢٧). وعندما يقول الكاهن: "أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب وبلا دنس الطوباويين المحييتين"، فهو يؤكد انتقال قوة الحياة

- بلا عيب
- بلا دنس
- طوباوية
- محيية

من الكاهن يسوع إلى الذبيحة يسوع إلى المتناول. ولكن عندما صارت الخطية هي محور ومركز التعليم طوال ٤٠ عاماً، لم نعد نسمع عن قداسة الكنيسة، بل حلَّت الخطية محل التقديس والقداسة، وغابت النعمة وضاعت قوة التدبير لكي يصول ويجول سلطان كهنوتي مزيَّف.

قبل أن ينتقل قداسة البابا كيرلس السادس إلى عالم النور باسبوعين قال لي: "يا ابني عاوزين كتاب عن الكهنوت؛ لأن الآباء الكهنة أخذوا مكان الرب يسوع .. توعدني .. فقلت له أوعدك .. ولا زلت أجمع سطور وصفحات هذا الكتاب.

لقد حدث إبدالٌ للهوية، وغاب المسيح يسوع، فغابت معه قوة الحياة، وحل محل الحياة الانقسام والموت وهما مكونات الخطية؛ لأن الخطية دخلت إلى العالم ومعها دخل الموت لأن الخطية تحمل الموت، لأن الخطية هي بحث آدم عن ذاته بدون الله لكي يكون صورة لذاته وليس صورة الله (تكوين ١: ٢٦).

الجسد الثالث، ما هو وكيف تم اختراعه حسابياً؟

لكي يتم انشطار الوعي كتب:

- جسد المسيح المولود من العذراء.
- جسد المسيح في سر الشكر.
- جسد المسيح الكنيسة.

وبذلك يكون قد صاغ نظرية الأجساد الثلاثة التي لم يقدِّم ولو نص واحد عن تاريخ هذه النظرية. وأين ولماذا ظهرت، إذا كان لها وجود في علم اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي؟

وبذلك دخل القارئ في نفق مظلم لا يعرف من الذي حفره، ولماذا حُفر، وما هي غاية هذا النفق، وهل هو نفقٌ مسدود، أم أنه يؤدي في نهايته المظلمة إلى نور وحرية.

هكذا كانت العقيدة تقدَّم لشعب مؤمن صادق، ولكن الغذاء الذي كان يُقدم له كان كافياً تماماً لقتل إيمانه.

الادعاء بأن الكنيسة جسد المسيح هو مجرد تشبيه:

لو أن رسول يسوع قال: "أمَّا أنتم مثل جسد المسيح"، لكان لدى أصحاب هذه النظرية حجة. ولكن الهروب نحو تحديد لفظي أجوف ينقل العلاقة مع المسيح نفسه رأس الجسد (أفسس ٥: ٢٣) إلى مجرد فكرة في عقول المؤمنين، هو هروب من تجسُّد الرب، ومحاصرة للإيمان في داخل العقل الإنساني ،ويخضعه لكل تصورات ممكنة وغير ممكنة.

على أن رفض هذا الادعاء، لا يعود فقط إلى إنكار تجسد الرب الذي تجسد لكي يجعلنا جسده "أمَّا أنتم فجسد المسيح" (١كو ١٢: ٢٧)، ولكن لأن اعتبار أن "جسد المسيح" هو مجرد اسم وتشبيه فقط يرد التشبيه إلى الجسد الإنساني، وأن علاقتنا بالمسيح هي مثل وحدة الجسد الإنساني. ولا شك أن الفكرة مغرية، ولكنه إغراءٌ مُدمر لأن ما دُمِّر هنا هو نفي العلاقة الجديدة الكيانية التي جاء بها الرب يسوع والتي صارت مجرد علاقة فكرية في العقول فقط لا وجود لها في **الواقع الجديد** الذي خلقه الرب بتجسده، وهو واقع ينتمي إلى مجمل حياة الرب وإلى الدم واللحم وإلى علاقة زواج إلهي – إنساني فيها اتحاد لا يصدر من العقل الانساني، بل من المسيح يسوع نفسه.

وثمة مسألة أخرى أكثر خطورة، وهي أن الجسد الانساني نفسه عبر الحضارات والثقافات له دلالات متعددة، سبق وأن دُرست في

عصرنا بواسطة رواد الفلسفة والاجتماع[٣].

فالجسد يلبس كل يوم قناعاً *Mask* وفي عالم التجارة والفن والشعر، بل وفي السياسة والاقتصاد، كل مقولة تخلع على الجسد أوصافاً ونماذج .. أشكال *Images* أحياناً تزيِّف الجسد الإنساني تماماً، وتحوِّله *Convert* إلى مُسوخ تم مسخها *Deformed* بمصطلحات وأسماء وتشبيهات. ولذلك، وقد أدرك الرب عثرة تجسده، قال: "جسدي مأكلٌ حق"، وهذا لا يمكن فصله عن كيانه الحق، ولا يمكن أن يتحول إلى فكرة عقلية أو نموذج أو شكل، بل يظل الحقيقة والواقع نفسه، أي واقع *Reality* الله الكلمة المتجسد، وهو الأمر الذي عجز معه الذين يفكرون بطريقة تجريدية *Abstract* أن يدخلوا واقع المسيح وسر تجسده وسر اتحاده بنا بالناسوت. وعندما يصبح الجسد الإنساني هو "المرجعية" *Term of Reference* للعلاقة مع المسيح، وهي هنا علاقة الجماعة مع الرب نفسه، فإن اكتشاف والنمو في هذه العلاقة لم يعد شركة ومحبة بين الرب والمؤمنين، بل تحول وصار موضوعاً عقلياً اختفى فيه المسيح الرب نفسه من هذه العلاقة، وأصبح المسيح يُقارَن بفكرة أو بمشاعر، ولا يشترك فيه الإنسان إلَّا بقدر تقدُّمه العقلي .. كان هذا ولا يزال خطراً داهماً جاء مع حركة الإصلاح، ولا زال يهدد الأرثوذكسية القبطية التي تعصف بها رياح عقلية ليس لها علاقة بالثوابت في التسليم الكنسي، وإلَّا كيف سمح إنسانٌ لنفسه أن

٣ يكفي أن نشير هنا إلى كتاب واحد للباحث الفرنسي وعالم الاجتماع دافيد لوبروتون بعنوان: "انثروبولوجيا الجسد والحداثة"، نُشِر في بيروت، تعريب محمد عرب صاصيلا ١٩٩٧. وله مؤلَّف آخر نرجو أن نراه بالعربية، وهو "أجساد ومجتمعات، بحث في علم الاجتماع وانثروبولوجيا الجسد" نُشر بالفرنسية – الطبعة الثانية ١٩٨٨.

يكتب عن جسدٍ ثالثٍ لا وجود له؟ فليس للرب إلَّا جسداً واحداً شمل جميع البشر بتجسده مثلما شمل آدم الكل في كيانه الإنساني "كما في آدم يموت الجميع" (١كو ١٥: ٢٢) -ولنا عودة إلى هذه النقطة بالذات عن الواحد الذي يجمع الكل، وهو آدم الأول وآدم الثاني في دراسة منفصلة خاصة حتى لا يتشتت ذهن القارئ- أي يسوع الذي أكمل رسوله العبارة "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢)، ولاحظ هنا أننا سوف نُحيا *made alive* لا أن نحيا، أي لن تكون لنا حياة آتية منا، بل حياةٌ آتيةٌ من خارجنا، وُهِبَت لنا من يسوع الحي القائم من بين الأموات.

الجسد الواحد عند رسول الرب بولس

الجسد الواحد تعبير عن حياة الكنيسة؛ إذ يقول رسول الرب عن تنوع أعضاء الجسد الواحد، وهو تعدد المواهب: "كما قسَّم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان، فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر" (رو ٨: ٣ - ٥). وهذه هي "وحدانية القلب التي للمحبة" حسب صلاة القداس الغريغوري، التي يجب أن "تتأصل فينا"؛ لأنها معرَّضة دائما للانقضاض عليها من الداخل بالقسوة وانعدام المحبة وسائر الشرور التي يأتي معها التقسيم، ولذلك السبب نفسه يقول رسول الرب: "وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتم في جسد واحد" (كولو ٣: ١٥). هذا الجسد لا يُدمر، ولكن يُحاط بالضعف، ومهدد

دائماً بالانقسام، وهو مدعو إلى النمو ورسول المسيح يحذرنا: "بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح"، ونحن لا ننمو حسب المزاج والعواطف، بل في اتجاهنا نحو الرأس ندرك معنى عبارة رسول الرب: "الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل قياس كل عضو يحصل نمو للجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٢: ١٥ - ١٦)، وهو ما يتم أصلاً في المعمودية؛ لأننا اعتمدنا إلى "جسدٍ واحد" (١كور١٢: ١١ - ١٣)، بل جاء ترتيب صلاة باكر حسب طقس أم الشهداء أن نصلي البولس من أفسس ٤: ١ - ٤، وهو السلوك حسب الدعوة الإلهية:

" بكل تواضع ووداعة وطول أناة،

محتملين بعضكم بعضاً في المحبة"

ولاحظ:

"مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام".

لا أن نقسَّم إلى ثلاثة أجساد وننزع عن الكنيسة حياتها في الثالوث، بل "جسد واحد، روح واحد، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحد. إيمانٌ واحد, معموديةٌ واحدة".

وهذا كله ثابت

"إله أبٌ واحد للكل

الذي على الكل (في المسيح)

وبالكل (بالروح القدس)

وفي كلكم (في الكنيسة)" (ق إيرينيئوس، ضد الهرطقات ٣: ١٨).

الادعاء بأن الكنيسة جسد المسيح هو مجرد استعارة:

أي *Metaphor* والاستعارة تشبه النظَّارة التي نضعها على عيوننا لكي نرى الأشياء بشكل آخر، مثل قولنا عن شخصٍ ما إنه شجاع مثل الأسد، فقد تم استعارة شجاعة الأسد وأُلصقت بإنسان من أجل إبراز حقيقة أو صفة أو فضيلة، وربما رذيلة في إنسان أو حيوان أو جماد ... تحفل كل لغات الأرض بالاستعارات لخدمة الحوار وتقدم العلاقات الإنسانية، لكن "جسد المسيح" ليس استعارة لشيء أو لموضوع عقلاني أو فكرة نريد إبرازها، ليس فقط لأن التجسد حقيقة لا تجوز معها الاستعارة، بل لأن ما حققه التجسد هو ذات الحقيقة التي من أجلها حدث التجسد، وهي اجتماع واتحاد البشر ليس باتخاذ هوية أو اسماً يطوح بهم في أروقة الأنظمة ودهاليز النظريات، بل بأن يصبح هذا الاتحاد له صفة واحدة، وهو أنه اتحاد إنساني حقيقي يعبِّر عنه ذلك الاسم "جسد"، ويُنقل هذا الاتحاد من الواقع الإنساني إلى الحياة الإلهية التي يعلنها اسم "المسيح"؛ لأن جسد المسيح يسوع الذي مُسح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، لم يعد مجرد جسد الله الكلمة فقط، بل فَتَح أمام الجسد نفسه -بمسحة الروح القدس- حياة روح الله الحي القدوس غير المنقسم، ولذلك يوصف هذا الجسد في كل قداسات الأرثوذكسية بأنه "حيٌّ ومُحيي".

ليس أجساداً كثيرة، بل جسدٌ واحدٌ حسب شهادة ذهبي الفم:

في العظة ٢٤: ١٦ - ١٧ على كورنثوس الأولى يشرح ذهبي الفم كلمات رسول يسوع فيقول:

"لماذا قال بولس وأضاف (إلى كلمات الرب نفسه) الخبز الذي نكسره (١ كو ١٠: ١٦)؟ لأن هذا نراه في سر الشكر، ولكنه لم يحدث على الصليب، بل لقد حدث العكس: عظماً منه لم يُكسَر (يوحنا ١٩: ٣٦)، وما لم يحدث على الصليب يسمح به (الرب) لأجلنا؛ لأنه في القربان يكسر هو ذاته لكي يملأ كل أحد .. وبالإضافة إلى ذلك يقول بولس "شركة الجسد" (١كو ١٠: ١٦) لأن كل الذين يشتركون هم متمايزون كلٌّ عن الآخر عندما يشتركون، ولكن الاختلافات بينهم قد زالت، ولذلك قال "شركة الجسد"، لأنه أراد أن يعبِّر عما هو أعمق، وشديد الالتصاق، ولذلك أضاف "لأنه خبزٌ واحد ونحن جسدٌ واحد" (١كو ١٠: ١٧)، وكأنه يقول لماذا أكتب لكم عن الشركة؟ أنتم ذات الجسد. ما هو الخبز؟ هو جسد المسيح. ليس أجساداً كثيرة، بل جسدٌ واحد، لأنه كما أن الخبز صُنِعَ من حبات الحنطة المتنوعة واتحدت كل حبات الحنطة، فلم تعد هناك في الخبز حبة حنطة واحدة منفصلة، بل الكل اتحد معاً حتى زالت الخلافات بسبب الاتحاد والتضامن لأننا نلتصق كلٌّ بالآخر وبالمسيح".

ويأتي جواب ذهبي الفم عن الكنيسة التي تأكل نفسها في ذات العظة:

"أنتم لا تأكلون جسداً والقريب جسداً آخر، بل جسدٌ واحد نأكله نحن جميعاً؛ لأننا جميعاً نأكل ذات الجسد، ولذلك السبب أضاف بولس: "لأننا نشترك في الخبز الواحد" (١كو ١٠: ١٧) والآن إذا كنَّا جميعاً نتغذَّى بذات الخبز، ونصبح الجسد الواحد، فلماذا لا نشهد بذات المحبة الواحدة .." (راجع الترجمة الانجليزية مجلد ١٢: ص ١٣٩-١٤٠).

فالشركة تجعلنا واحداً لأن الذي على المائدة هو خبزٌ واحد، ولأن الكل يشترك في هذا الخبز الواحد لكي يصير الكل جسداً واحداً. وفي نفس العظة ونفس المرجع يقول:

"الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح" (١كو ١٠: ١٦) وهو لم يقل إنه اشتراكٌ لكل فرد على حدة، بل شركة الكل، أي شركة جسد المسيح؛ لأن في هذه الشركة اتحاد وهو (غاية) الشركة. فنحن لا نشترك كأفراد كل واحد على حدة، بل نشترك لكي نتحد ويكون لنا نحن الكل اتحاد، وكما أن الجسد متحد بالمسيح هكذا نحن متحدون به بالشركة في الخبز الواحد".

ولم يقف ذهبي الفم عند هذا الشرح، بل شرح الاتحاد قائلاً:

"دعونا نلتصق بالمسيح، فهو أساسُنا مثل التصاق الأغصان بالكرمة ولا نسمح بأن يقف أو يدخل بيننا

وبين المسيح شيء؛ لأنه إن حدث انفصالٌ، فإننا على الفور نهلك؛ لأن الغصن يحيا إذا كان يأخذ عصارة الحياة بالالتصاق بالكرمة، بل إن أي بناء يبقى قائماً لأنه متماسك بالأسمنت الذي يشده معاً، ولكن إذا انفصلت الأحجار، فإن البناء سوف ينهار، لذلك دعونا لا أن نمسك بالمسيح فقط، بل أن نتحد به لأننا إذا وقف كل واحد منا على حدة فإننا سنهلك، لأنه مكتوب: "ها إن كل الذين تركوني قد هلكوا" (مزمور ٧٢: ٢٧ س). علينا أن نلتصق به، وأن نلتصق به بما نقوم به من أعمال؛ "لأن الذي لديه وصاياي ويحفظها يثبت فيَّ" (يوحنا ١٤: ٢١). فالرب يؤكد اتحادنا به بعدة طرق منها أنه هو الرأس ونحن الجسد، فهل توجد مسافة خالية تفصل بين الرأس والجسد؟ هو الأساس ونحن البناء. هو الكرمة ونحن الأغصان. هو العريس ونحن العروس. هو الراعي ونحن الخراف. هو الطريق ونحن المسافرون. نحن الهيكل وهو الساكن. هو الوارث ونحن وارثون معه. هو الحياة ونحن الأحياء به. هو القيامة ونحن سوف نقوم. هو النور ونحن به نستنير" (راجع عظة ١٥ على رومية مجلد ٦٠ عامود ٣١٨-٣١٩).

نحن مذبح المسيح:

لقد جرى تزييف متعمد للحياة الليتورجية، أي تلك الحياة التي نشترك فيها جميعاً في القداسات وسائر الخدمات الكنسية عندما صارت مباني الكنائس أعظم من البشر، وعندما دخلت ثنائية المذبح والذبيحة، ثم ثنائية الذبيحة والكاهن، وهو أمرٌ يناقضه تماماً وحدانية

المذبح والذبيحة والكاهن، وهو الرب يسوع الذي ذُبِحَ على الصليب المكرم بإرادته وحده وسلطانه لأن إرادة الرب التي أُبرزت مرتين في عب ١٠: ٧، ثم في عب ١٠: ١٠ هي المذبح الحقيقي الذي قدَّم عليه الابن ذاته بالروح الأزلي أي الروح القدس حسب عب ٩: ١٤. ولا يمكن فصل الكاهن عن الذبيحة لأن حياته هي الذبيحة وكهنوته مُستَمَد من الذبيحة "لهذا لزم أن يكون لهذا (المسيح) أيضاً شيء يقدمه" (عب ٨: ٣)، ولذلك قدَّم "دم نفسه" (عب ٩: ١٢)، وهو التقديم الأزلي السابق على خلق العالم "دم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١: ١٩ - ٢٠).

المسيح الكاهن والذبيحة والمذبح هو سبب وأصل وجود المذابح الحجرية أو الخشبية والهياكل .. هذه هي العلامات الزمنية المنظورة التي تعبِّر عن الحقيقة الأبدية عن الواحد الحي الذي بيننا ذبيحة وكاهن ومذبح يأتي إلينا لكي يعطي لنا حياته ونحن نقدم حياتنا "ذبيحة حيةً مقدسةً مرضية عند الله (في الوسيط يسوع المسيح) خدمتنا (عبادتنا) العقلية" (رو ١٢: ١) التي تفوق الخدمة القديمة حسب الشريعة القديمة في اللاويين والتثنية.

ونحن قربانٌ على المذبح السمائي يسوع المسيح حسب خدمة المعمودية: "عبيدك الذين قدموا لك أبنائهم أقبلهم على مذبحك المقدس الناطق السمائي بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك"؛ لأن القوات السمائية تشترك في التقديم بسبب المصالحة التي حققها

رب المجد الذي "سُرَّ أن يحل فيه كل الملء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء ما هو كائن على الأرض أم في السموات" (كولو ١: ٢١ - ٢٢). ونحن نقدم القربان، حسب أوشية القرابين، وهي وإن كانت تحتوي على إشارة واضحة إلى المذبح، أي مذبح الكنيسة، إلَّا أن هذا المذبح هو العلامة المنظورة للمذبح الحقيقي يسوع المسيح، وهو - كما في صلاة تكريس الكنيسة- "عرش اللاهوت". فالعودة إلى وحدانية الجسد - وحدانية المذبح والقربان - وحدانية الذبيحة والكاهن، هي عودة إلى ينبوع الحياة الحقيقية التي يجب أن نمارسها في دقة الأرثوذكسية، بحسب ذهبي الفم الذي يقول إننا نحن البشر مذبح المسيح. ففي العظة ٢٠ على ٢كو (مجلد ٦١: عامود ٥٤) يعظ ذهبي الفم في الكنيسة ليقول للمؤمنين عن الفرق بين مذبح العهد القديم ومذبح العهد الجديد:

> "يتكون المذبح من كل أعضاء المسيح؛ لأن جسد الرب صار هو مذبحك. إنحنِ بخشوع لأن جسد الرب يقدَّم عليه، هو المذبح (البشر) الذي تقدِّم أنت له الذبائح، وهذا المذبح أعظم من المذبح الذي في الكنيسة (الهيكل)، وهو حتماً أعظم من مذبح العهد القديم، لا تجادل. هذا المذبح الحجري هو مذبح ملوكي؛ لأن الذبيحة تقدَّم عليه، ولكن مذبح التقدمات والصدقة هو أعظم؛ لأنه مكوَّن من الذبيحة (يسوع) ذاته. المذبح الحجري ملوكي؛ لأنه تقدَّس بجسد المسيح، أمَّا المذبح الحي فهو جسد المسيح ذاته. لذلك يا أخي هو فائق التكريم عن مذبح الكنيسة الذي تراه الآن".

ويمضي في المقارنة:

"مَن هو هارون حتى يمكن أن نقارنه بما عندنا؟ ... إن مذبح عطايا المؤمنين هو أعظم من المذبح الذي لدينا الآن. أنت تكرِّم المذبح لأن جسد المسيح يوضع عليه، ولكن المذبح الحي هو جسد المسيح، فلا تعامله بجفاء واحتقار ..

هذا المذبح تراه في كل مكان، في كل الشوارع، وفي الأسواق، وفي كل ساعة تستطيع أن تقدم قربانك عليه. وكما أن الكاهن يستدعي الروح القدس عندما يقف عند المذبح، فأنت أيضاً استدعِ الروح القدس لكي يكون مثل انسكاب زيت المسحة في العهد القديم".

التدمير من الداخل بسبب انقطاع التواصل مع التسليم الكنسي:

لقد حاولنا أن نتكلم في هدوء وراء الأبواب المغلقة طوال سنوات مطاردة الأب متى المسكين وفشلنا. كان الرفض مصدره الأساسي هو انقطاع التواصل مع تراث وتسليم الإيمان والحياة التي امتاز به جيل الأنبا كيرلس السادس والجيل الذي سبقه، والذي رأينا بعضاً منه رؤى العين. كان التسليم الكنسي يقوم ليس على تلقين وحفظ الصلوات والطقوس، بل حفظ "أركان الإيمان" وكان الركن الأساسي لهذا التسليم:

١- إن ما هو إلهي هو غير قابل للانقسام.

٢- وهو أيضاً غير قابل للموت أو الاضمحلال أو الزوال.

ولم يكن هذا التسليم يتم في كرَّاس أو كتاب مجهول، بل هو ما يسلَّم في صلوات القداسات والمعمودية والميرون؛ لأن الذبيحة هي جسد المسيح الحي والمحيي واهب عدم الموت.

ولأن الموت أُبطل، فعلى الذاكرة أن تنتقل مستنيرةً بنور القيامة "لكي نضيء بشكلك المحيي" كما تقول صلاة القسمة. وهذا الشكل المحيي ليس هو شكل من لا زال في "قبر الماضي"، بل هو شكل من انتشله المسيح من الموت والقبر و"أجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (افسس ٢: ٦). لكن المشكلة لدينا تتمثل في الذين لم يستنيروا ودخلوا الكهنوت خلسة، وهؤلاء جاءوا بمعرفة غير كنسية،

أصولها الخبرة الشخصية التي لم تنل تطهير روح الرب، ومجالها الزعامة التي تفتش عن أي شيء يؤكد لها قدرتها على الحشد وتأليب الأتباع والهجوم على الجانب المستيكي *Mystical* بخداع الألفاظ مثل "الكنيسة تأكل نفسها"، "والكنيسة تسجد لنفسها عندما تقول نسجد لجسدك المقدس". و"الكنيسة جسد ثالث" لا ندري من أين جاء وما هو مصيره ومن الذي كوَّنه؟

إن أكل الكنيسة لنفسها هو خداعٌ مبني على فهم غير مسيحي أصلاً للسجود؛ لأننا نسجد ليس لمن هو خارج عنا، بل نسجد بالروح والحق (يوحنا ٤: ٢٣ - ٢٤)، وبالتالي، سجودنا، هو خدمتنا للثالوث الذي فدانا والذي فيه وبه نسجد. كان أحد الآباء يقبِّل الأرض عندما يسجد، وعلق على ذلك قائلاً: لأن الرب يسوع لا يزال يمشي عليها؛ لأنه في وسطنا، ولأنها وُحِّدَت بالسماء، ولأن الأرض كما قال الرب نفسه هي "موطئ قدميه" (متى ٥: ٣٥).

ولذلك، الآخر يسوع، هو من كياننا، وهو فينا، وقد علَّق أحد الآباء على عبارة "الكنيسة تأكل نفسها" وقال: "يعني عندما أغتسل بالماء أنا أغسل نفسي، وإذا جاء واحد وغسلني، فهل هو غريبٌ عني؟ أليس كل أخٍ هو عضو في جسد الرب؟ وأليس هو الرب نفسه يغسلنا بواسطة الآخرين؟ وأليس جسدي هو جسد يسوع؟.. ده كلام مش ضروري، ربنا يرحم".

يسوع كان وديعاً فيَّ، وفي الآخر، وهو سبب وحدتنا، وعندما نعود إليه في القداسات فهي ليست عودة انقطاع، بل عودة تواصل، وعودة

سببها الانشغال العقلي الدائم اليومي.

ونحن نأكل الذبيحة لنكون واحداً: "اجعلنا مستحقين يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع قديسيك .."

واضحٌ إذن مدى التدمير الذي يمكن أن يصيب الكنيسة من الداخل جراء هذه النظرية، حيث تبقى الكنيسة بلا مسيح وبلا روح الله وبلا شركة، ويصبح ذلك الكيان الثالث الذي له وجود اجتماعي ومدني يرأسه البطريرك والأساقفة (مع وجود هامش للقساوسة)؛ لكي تسود السلطة على الشعب، فهو ليس جسد المسيح، بل هو جسدٌ ثالثٌ غريبٌ عن المسيح .. وصار أيضاً غريباً عن الروح القدس؛ لأنه لا ينال الروح القدس، بل المواهب فقط، والباقي طبعاً معروف: تدمير الشركة في الطبيعة الإلهية لأننا حتى في الإفخارستيا نتناول جسد ودم عمانوئيل فقط ولا نأخذ ولو لمسة من أُلوهيته (تعليم نسطور)، ويبقى عندئذٍ هناك فراغ تام تملئه سلطة بلا نعمة، وكهنوت تحوَّل من خدمة وبذل إلى قهر وتسلُّط؛ لأن لدينا جسداً ثالثاً نما معنا، لا نعرف له أصلاً ولا فصلاً جاء به الأنبا شنودة الثالث .. غفر الله له.